من بشائر القرآن
لأهل الإيمان والاستقامة
"دراسة تحليلية سورة فصلت من آية ٣٠- إلى آية ٣٢

الباحثة: إسراء بنت كامل موريا
قسم: الشريعة والدراسات الإسلامية

المستخلص:

كثيرًا ما يقرأ المسـلم آيات من كتاب الله سـبحانه ولا يعي معناها، ومراد الله منه، أو قد يقرأ كلام الله سـبحانه، ويفهم معانيه، لكن لا يدرك أسـرار هذا الكتاب العظيم، الذي عجز الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرًا. ومن هنا جاء هذا البحث ليكشف عن بعض هدايات آيات من سورة فصلت (٣٠-٣٢)، وتجلية أسرارها، وهداياتها القرآنية. وقد اتبعت فيه المنهج الاسـتقرائي التحليلي، وقسـمت خطة البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، تناولت فيها دراسـة الآيات دراسـة تحليلية، وختمتها بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج، منها: أولًا: إن هذه البشارة العظيمة التي اختص الله سبحانه بها أهل الإيمان لا ينالها كل أحد، وإنما ينالها من جمع الله له بين اليقين به سبحانه والاستقامة على طاعته. ثانيًا: الخوف من المستقبل والحزن على ما فات من أكثر المتاعب في الدنيا، وببشـارة الملائكة بنفي كل منهما، توجب في قلب العبد طمأنينة وسـكينة، فيسـعى لأن يكون من أصـحابها. ثالثًا: إن سـبب دخول الجنة والتنعم فيها: فضـل من الله سـبحانه، والأعمال الصـالحة ما هي إلا أسـبابًا موجبة لرحمة الله سـبحانه، فعلى العبد العمل بالأسـباب التي توصـل إلى رحمة الله سـبحانه. وقد ختمت البحث بالتوصـية بإقامة برامج فعّالـة في ذكر الهدايات القرآنيـة المسـتنبطـة من آيات القرآن، والوقوف على دلالاتها البلاغية، وربطها بالواقع المعاصر.

المقدمة:

فإن الله سـبحانه جعل من إنزال القرآن غاية واضـحة لا تتوقف على الحفظ والتلاوة، بل تتعداها إلى غاية أعظم؛ ألا وهي التدبر، فقال سـبحانه:" كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ"[ص: ٢٩].

ولقد أولى العلماء بكتاب الله سبحانه عناية شديدة، واستخرجوا منه علومًا جمّة، منها ما هو متعلق بألفاظه وبلاغته، ومنها ما هو بمتعلق بنزوله ومكيه ومدنيه وعدّ آيه، ومنها ما هو متعلق بمناسباته ومقاصده وأحكامه، ولا زالت الأمة حتى اليوم تستخرج من كنوز هذا الكتاب المبارك.

ومن هنا كان اختيار هذا البحث متمثلًا بدراسة تحليلية استنباطية في جمع ما يتعلق بدلالات آيات من سورة فصلت (٣٠- ٣٢)؛ ليحصل بذلك التدبر المنشود، والعلم النافع المطلوب، والعمل الذي لأجله أنزل الله سبحانه هذا الكتاب العظيم. سائلة المولى سبحانه السداد والقبول.

- **أسباب اختيار الموضوع وأهميته:**

١. الرغبة في الارتباط بكتاب الله سبحانه، والوقوف على آياته ومعانيه، بالكشف عن دلالاته، والاهتداء به.

٢. الكشف عن سر من أسرار جمال القرآن الكريم، ومن ذلك ما يكمن في بيانه، وهداياته.

٣. التحليل القرآني من أهم خصائص الإعجاز البياني التي لا بد للناظر في كتاب الله سبحانه أن يدرك أسراره حتى يتسنى له الفهم الصحيح لما وراء الألفاظ والتراكيب من معانٍ ومفاهيم وحقائق، والعمل القويم.

٤. الرغبة في خدمة جانب مهم من موضوعات التفسير وعلومه بالكشف عن دلالات آيات من القرآن الكريم.

- **أهداف البحث:**

١. التعريف بسورة فصلت وتجلية ما تحتويه من موضوعات، وعلوم؛ كالمكي والمدني، وسبب النزول والمناسبات وغيرها.

٢. تفسير آيات من سورة فصلت (٣٠- ٣٢) تفسيرًا تحليليًا ببيان معاني مفرداتها، والكشف عن هداياتها القرآنية.

- **مشكلة البحث:**

- إن كثيرًا ما يقرأ المسلم آيات من كتاب الله سبحانه ولا يعي معناها، ومراد الله تعالى منه، أو قد يقرأ كلام الله سبحانه، ويفهم معانيه، لكن لا يدرك أسرار هذا الإعجاز العظيم، الذي عجز الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرًا.

ومن هنا جاء هذا البحث ليكشف عن بعض مكنونات كتاب الله سبحانه، وتجلية أسرارها، وهداياتها القرآنية.

- **منهج البحث:**

المنهج المتتبع في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك من خلال:

١. استقراء كتب المفسرين في تفسير سورة فصلت من (٣٠-٣٢) والوقوف على تفسيرهم.
٢. تحليل مافي الآيات الكريمة من معانٍ ودلالات بلاغية وهدايات قرآنية.

- **حدود البحث:**

هذه الدراسة محدودة بدراسة آيات من سورة فصلت من (٣٠- ٣٢)، واستجلاء معانيها، وهداياتها المستنبطة.

- **الدراسات السابقة:**

لا يخفى أن تفسير سورة فصلت ودراستها من المواضيع التي لاقت اهتمامًا كبيرًا من الوعاظ، والمربين، والمعلمين وخاصة الباحثين في الدراسات العليا، وبحسب بحثي واطلاعي وجدت عدة أبحاث تتعلق بهذا الموضوع، منها:

- سورة فصلت: دراسة موضوعية، سلمى نوح موسى،٢٠٠١، رسالة ماجستير، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية.

- سورة فصلت، دراسة لغوية بيانية، الكوز، كمال سامي شحادة، ٢٠١٠، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط.
- أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم " دراسة تطبيقية من سورة فصلت إلى سورة الحديد "، عامر مصطفى خليل قاسم،٢٠١١، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية (غزة)
- البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم: أول سورة فصلت، راشد عبد الله الفرحان، البعث الإسلامي، مج٦٦، ع٩، مؤسسة الصحافة والنشر - مكتب البعث الإسلامي، ٢٠٢٠م.
- صفات الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في القرآن الكريم، عبدالحى بن دخيل الله المحمدى، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، ع٢٢، ج٦، جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بجرجا،2018م
- منهجية البحث في مقاصد السور القرآنية، سورة فصلت نموذجًا، محمد ولد سيدي عبد القادر، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، ع٢، مج٣، جامعة الأزهر - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، ٢٠١٨م.
- المنحى التكاملي بين مستويات الدرس اللغوي لدى الشوكاني في تفسير فتح القدير، سورة فصلت أنموذجًا، نواف عبد الكريم إبراهيم غرايبة، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، ع٣٦، ج١، جامعة الأزهر- كلية اللغة العربية بالقاهرة، ٢٠١٨
- العدول التركيبي في سورة فصلت، فضيلة قسول، التعليمية، مج٥، ع١٥، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس - كلية الآداب واللغات والفنون - مخبر تجديد البحث في تعليمية اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية، تاريخ ٢٠١٨

- ووجه الاختلاف بين هذه الدراسات ودراستي يكمن في العموم والخصوص والمنهجية، فغالب هذه الدراسات تدرس جميع سورة فصلت، ودراستي في هذا البحث دراسة آيات محددة من (٣٠- ٣٢) كما أن منهجية الدراسات إما تختص باللغة على وجه الخصوص، وإما تختص بالتفسير التحليلي على وجه الخصوص، وأما دراستي في هذا البحث فهي قائم على الجمع بين التفسير التحليلي، والاستنباطي.

- **خطة البحث:**

اشتملت خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وتفصيلها على النحو الآتي:

- **المقدمة**، وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث ومشكلته، ومنهجه، وحدوده، وخطته.
  - **تمهيد: التعريف بسورة فصلت.**
  - **المبحث الأول: دراسة تحليلية سورة فصلت آية (٣٠)**
  - توطئة: مناسبة الآيات لما قبلها.
  - المطلب الأول: من هم المبشرين؟
  - المطلب الثاني: ما هي حقيقة الاستقامة؟
  - المطلب الثالث: بماذا بشّر الله سبحانه أهل الإيمان والاستقامة؟
  - **المبحث الثاني: دراسة تحليلية سورة فصلت (٣١- ٣٢)**
  - المطلب الأول: ماذا تقول الملائكة عند تبشير أهل الإيمان والاستقامة؟
  - المطلب الثاني: كيف نال أهل الإيمان دخول الجنة؟
- **الخاتمة**، وفيها أهم النتائج والتوصيات.
- **الفهارس العلمية للبحث.**
- **المبحث الأول: التعريف بسورة فصلت.**

- **تسميتها:**

ترتبط سور القرآن بأسماء خاصة بها، وقد يكون لبعضها اسمان أو أكثر، كسورة الفاتحة تسمى بأم الكتاب، والسبع المثاني، والشافية، إلى غير ذلك.

وأما سورة فصلت فقد ذكر في تسميتها اسمان:

- **الأول: سورة فصلت**، لوقوع كلمة في أول السورة في قوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ" [فصلت: ٣].
- **الثاني: حم السجدة**، لأنها تميزت عن السور المفتتحة بحروف (حم) بأن فيها سجدة، وسميت تمييزًا لها عن سورة السجدة المعروفة[1].

- **فضلها:**

لم يرد في فضل سورة فصلت فضل خاص صحيح عن النبي ﷺ، ففضلها عامّ، مثل فضل جميع سور القرآن الكريم، إذ إنّ قراءتها تُكسِب القارئ الأجر والثواب، وتعطيه الكثير من الحكم والمواعظ، وتصحّح له العقيدة وتُعطيه الدلائلَ على قدرة الله تعالى وحكمته وإبداعه، لهذا يجب الاكتفاء بمعرفة فضل سورة فصلت كسورة من سور القرآن الكريم دون تخصيص فضل لها.

- **زمن نزولها وترتيبها:**

سورة فصلت سورة مكية بالاتفاق، نزلت قبل هجرة النبي ﷺ، وترتيب نزولها، نزلت بعد سورة غافر، وقبل سورة زخرف، وعُدت الحادية والستين في ترتيب نزول القرآن. [2]

- **عدد آياتها:**

[1] ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/ ٢٦٩)، قال ابن عاشور:" وبذلك ترجمت في «صحيح البخاري» وفي «جامع الترمذي» لأنها تميزت عن السور المفتتحة بحروف حم بأن فيها سجدة من سجود القرآن". يُنظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٥/ ٢٢٦)، الجامع الصحيح، للبخاري (١٢٧/٦)، الجامع، للترمذي (٣٧٥/٥).

[2] ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢٠٧/١)

اختلفت أقوال المفسرين في تحديد عدد آيات سورة فصلت، وأقوالهم على النحو الآتي:

- عدد آياتها اثنتين وخمسين آية. وهذا عند أهل الشام والبصرة.
- عدد آياتها ثلاثًا وخمسين آية. وهذا عند أهل المدينة ومكة.
- عدد آياتها أربع وخمسون آية. وهذا عند أهل الكوفة. [١]

وسبب اختلافهم في عد الآي راجع إلى حال النبي ﷺ في القراءة، إذ كان يقف على رؤوس الآي تعليمًا لأصحابه أنها رؤوس الآي، حتى إذا علموا ذلك وصل الرسول ﷺ وسلم الآية بما بعدها طلبًا لتمام المعنى، فيظن بعض المستمعين أن ما وقف عليه الرسول ﷺ ليس فاصلة بما بعدها معتبرًا أن جميع ما قرئ آية واحدة. فمثل هذه المواضع كانت سببا لاختلافهم وسبب اجتهادهم[٢]. وفي مصاحفنا الآن عدد آياتها **أربع وخمسون آية.**

- **المبحث الثاني: دراسة تحليلية مفردات سورة فصلت آية (٣٠)**

لما ذكر الله سبحانه عاقبة وجزاء أهل النار وما أعد الله سبحانه لهم: " فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ۖ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ " [فصلت: ٢٧-٢٨] تشوف السامع إلى معرفة حظ المؤمنين ووصف حالهم، ثم أنذروا بالتصريح بما سيحل بهم في الآخرة فجاء قوله سبحانه: " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ" [فصلت: ٣٠][٣].

❖ **قال تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ" [فصلت: ٣٠]**

---

[١] ينظر: روح المعاني، للآلوسي (١٢/ ٣٤٧).
[٢] ينظر: مناهل العرفان، للزرقاني (١/ ٣٤٣- ٣٤٤).
[٣] التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٤/ ٢٨١).

بتأمل هذه الآية العظيمة نجد أن الله سبحانه يبشرعباده الذين كانوا في الدنيا في أمر عظيم ببشارة أعظم.

فابتدأت هذه البشارة بالتأكيد "**إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ**" حتى لا يظن ظان أن هؤلاء الذين كانوا في الدنيا في طاعة الله سبحانه ببر أو صلة أو كثرة صلاة أو صيام أو صفح أو إحسان غيرها من الأعمال الظاهرة والباطنة إنما تركوا شهواتهم سدى، ولذاتهم هباء منثورًا.

كلا والله، كيف؟ وقد قال سبحانه في كتابه:" **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا**" [الكهف:٣٠].

فقد ابتدأت هذه البشارة بالتأكيد الذي لا شك فيه، من أن يساوي الله سبحانه بين أهل الإخلاص المجتهدين وبين المسيئين، قال سبحانه: "**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ** " [السجدة: ١٨].

وفي تأكيد هذه البشارة كذلك زيادة في تقميع في حال الكفار الذين سبق السياق في ذكر وعيدهم وحالهم يوم القيامة وما أعد الله لهم من عذاب الآخرة والعياذ بالله.

- **المطلب الأول: من هم المبشرين؟**

هل سبق أن قرأ القارئ هذه الآية، وتأمل لمَ ذكر الله سبحانه: " **إِن ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ** " ولم يقل: (إن المؤمنين أو المخلصين أو المتقين)؟

ليدرك العبد أن البشارة التي اختص الله سبحانه بها أوليائه جاءت لمن اختصوا بصفات عظيمة. ماهي؟

"**ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ** "

"**قالوا**" فيه إصداع بنور الحق، فيه إقرار بربوبية مالك الملك سبحانه، فيه اعتزاز بدين الله سبحانه، فيه شرف بهدي محمد ﷺ.

يقول ابن عاشــور :"معنى "**قالوا ربُّنا الله**" أنهم صــدعوا بذلك ولم يخشَــوا أحداً بإعلانهم التوحيد، فقولُهم تصـــريح بما في اعتقادهم؛ لأن المراد بهم قالوا ذلك عن اعتقاد، فإن الأصل في الكلام الصدق وهو مطابقة الخبر الواقع "[1].

" **رَبُّنَا ٱللَّهُ** " اســتحقوا هؤلاء البشــارة العظيمة لأنهم كانوا هؤلاء في الدنيا على يقين بربهم سـبحانه، الذي هو خالقهم ورازقهم ومدبر أمرهم، فكم في هذا الإصــداع من تقرير لربوبية الله سبحانه وحده، وكم فيه من رسوخ الإيمان في قلوب هؤلاء.

وتأمل أيها القارئ لفظ الرب في هذه الآية؟ لم يقولوا (إلهنا الله) وإنما "**ربنا الله**"؟ أوليس الرب كلمة تُشــعر العبد بالامتنان والشــكر لله ســبحانه، أوليس الذي خلقنا وأطعمنا وربانا بالنعم ظاهرة وباطنة، يستحق أن نزيد في شكره بطاعتنا له سبحانه.

وإذا دققت النظر في هذه الآية مرة أخرى، تجد دلالـة بلاغيـة أخرى، إنهم لم يقولوا (الله هو ربنا) بل قالوا "**ربنا الله**" وهذا أسـلوب يدل على الحصـر، أي لا رب غيره سبحانه جل في علاه.

هذا كان حالهم في الدنيا، عملوا لأجله سبحانه، وعملوا ابتغاء مرضاته سبحانه، لم يُصلّوا ليُقال عنهم محسنين، ولم يصوموا ليقال عنهم صائمين، ولم يحفظوا كتابه العظيم ليقال عنهم حافظين، وإنما ابتغوا من أعمالهم رضـــا ربهم ســـبحانه الواحد الاحد سبحانه.

والأمر الآخر الذين استحقوا لأجله هذا الفضـل العظيم" هو: "**ثم اســتقاموا**" قد يكون العبد في الدنيا محســـن، تقي، مخلص فترة ثم ما يلبث أن يتغير –والعياذ بالله–، ينقص إيمانه، يتخل عن مبادئ دينه، يؤخر صـلاته، يقل ورعه عن الحرام، هؤلاء أخلوا بركن عظيم. ماهي؟ إنها الاستقامة.

- **المطلب الثاني: ما حقيقة الاستقامة؟**

[1] التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٤/ ٢٨٢).

إن الاستقامة في اللغة: أصلها من قام: عدم الاعوجاج والميلِ[١].

وجاءت السين والتاء فيها للمبالغة في التقوّم.

وقد تطلق هذه الاستقامة على وجه الاستعارة كما في هذه الآية على ما يجمع معنى حسن العمل والسيرة على الحق والصدق. كما في قوله تعالى: "فاسْتَقِيموا إليه واستَغْفروه" [فصلت: ٦].

وهي أساس العمل الصالح، وتقتضي سلوك الطريق الوسط، الذي لا إفراط فيه ولا تفريط. قال سبحانه: "وكذلك جعلناكم أمة وسطًا" [البقرة: ١٤٣]

ومن معنى هذه الآية ما رُوي عن سفيان الثقفي قال: قلتُ: يا رسول الله قُل لي في الإسلام قولاً لا أسألُ عنه أحداً غيرَك. قال:"قُل آمنت بالله فاستقِمْ"[٢].

بعض الناس يعلم أن ربه الله سبحانه، ويقرّ بذلك، غير أن أعماله غير دالة على هذا، حياته لاتظهر اعتزازه بذلك، صلاته لا تظهر اعتزازه بذلك، عزوفه عن الحج لا يظهر اعتزازه بهذا وغيرها من الأمور.

وإذا سئل عن هذا يومًا قد يجبيب: (الله يعلم ما في قلبي!)

نعم صحيح، الله سبحانه عليم خبير، مطلع على ما في قلوبنا، يعلم ما نخفي وما نعلن، لكن ما هو مصداق هذا الإقرار؟ كيف نعلم أننا نحب الله سبحانه فعلا؟ هل هو مجرد قول نهذي به كل يوم؟ وجوارحنا لا تدل على صدقه؟ هل سألنا أنفسنا لمَ كُلفنا بالفرائض؟ لم كلفنا الله سبحانه بالصلاة، بالصيام، بالحج، بالحجاب ؟ لم نهانا الله سبحانه عن المحرمات؟ عن الغيبة والنميمة؟ عن الكذب؟ عن الغش؟

لنعود للقاعدة الأساسية؛ القلب نعم، عليه مدار العمل، لكن لو صلح هذا القلب، وصلح حاله، وصدق بحبه لربه وابتغاء مرضاته لصلحت الأعمال حقًا.

[١] ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من العلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، مادة (قام) (٨/ ٥٦٨٤).
[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام (١/ ٦٥) برقم: (٣٨).

ومصداق ذلك حديث المصطفى ﷺ: عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"[1].

وبتأمل الحرف الذي جاء فاصلا بين "**ربنا الله**" و"**استقاموا**" نجده **(ثم)** الذي يفيد التراخي؛ لأن الاستقامة مرحلة زائدة على الإقرار بالتوحيد؛ لأنها تشمله وتشمل الثبات عليه والعملَ بما يستدعيه؛ ولأن الاستقامة دليل على أن قولهم: "**رَبُّنَا الله**"كان قولاً منبعثاً عن اعتقاد الضمير والمعرفة الحقيقية[2].

ولا شك أن الاستقامة على الفرائض أمر يحتاج لصبر ومجاهدة، والصلاة في وقتها كل يوم تحتاج لمصابرة، وبر الوالدين يحتاج لمجاهدة، وغض البصر عن المحرمات يحتاج لمجاهدة ولما كان ذلك كذلك كان الفضل والإنعام بشأنه عظيم. نسأل الله سبحانه من فضله الهداية والثبات.

نخلص من ذلك أن المبشرين بالبشارة العظيمة قد جمعوا بين أمرين:

- الأمر الأول: اليقين بالله سبحانه، والاعتراف بربوبيته سبحانه، وسبيل ذلك العلم عن الله سبحانه، والتفكر في عظمة الله جل جلاله، وفي نعمه وآلائه ومخلوقاته العظيمة، والتأمل في آياته الشرعية، هذه كلها مما تزيد العبد يقينا وإيمانًا وخضوعًا لله جل في علاه.
- الأمر الثاني: العمل الصالح، وهذا نابع عن اليقين بالله سبحانه، متى ما وقر حب الله في القلب انقادت الجوارح لما يحبه سبحانه ويرضاه.

○ **المطلب الثالث: بماذا بشّر الله سبحانه أهل الإيمان والاستقامة؟**

قال تعالى: "تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ" [فصلت: ٣٠]

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (١/ ٢٠) برقم: (٥٢).
[2] ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٤/ ٢٨٣).

استحق أهل الإيمان الصادق والاستقامة الدائمة على بشارة عظيمة، تتنزل عليهم الملائكة من عليائها تكريمًا لأجل هؤلاء الذين في الأرض؛ لأجل أن تبشرهم؛ لأجل أن تحصِّل في نفوسهم الطمأنينة والسكينة.

فأي شرف هذا الذي اختصه الله سبحانه لأهل طاعته.

- **متى تنزل الملائكة بالبشرى؟**

لأهل التفسير في تحديد وقت نزول الملائكة أقوال منها:

١- تتنزل عليهم الملائكة حين الموت، قال به مجاهد والسدي[١].

٢- تتنزل عليهم الملائكة في وقت الحشر، وهو قول ابن عاشور[٢].

٢- تتنزل على سبيل التدريج المتصل عليهم من حين نفخ الروح فيهم إلى أن يموتوا ثم إلى أن يدخلوا الجنة باطناً فظاهراً. وهو قول ابن العربي[٣].

- ولعلنا نقف وقفة في "**تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ**" [فصلت ٣٠] لم جاءت (تتنزل) ولم تأتي (تنزل)؟

لأن مدلول (تتنزل) يخالف مدلول (تنزل)؛ فـ(تتنزل) فيها زيادة على (تنزل) وهذه الزيادة تقتضي معنيين:

❖ "المعنى الأول: أن تنزُّلَهم يكون شيئًا فشيئًا، (تتنزل) لا تنزل دفعة واحدة.

❖ والثاني: أن التنزل أو النزول متكرر "**تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ**" يعني كلما دعت حالُهم إلى تنزل الملائكة عليهم تنزلت عليهم، فصار الفرق الآن بين (تنزل) و(تتنزل) من وجهين: الوجه الأول: أن (تنزَّل) تعني النزول مرة واحدة ودفعة واحدة، و(تتنزل) تقتضي تكرار النزول، وأنه يكون شيئًا فشيئًا.

---

١ أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٠/ ٤٢٦).

٢ قال ابن عاشور: "وتنزُّلُ الملائكة على المؤمنين يحتمل أن يكون في وقت الحشر كما دل عليه قولهم: {الَّتِي كُنتُم تُوعَدُونَ}، وكما يقتضيه كلامهم لهم؛ لأن ظاهر الخطاب أنه حقيقة، فذلك مقابل قوله: {ويَوْمَ نَحْشُر أعْدَاء الله إلَى النَّارِ فَهُم يُوزَعُونَ} [فصلت: ١٩]، فأولئك تلاقيهم الملائكة بالوزع، والمؤمنون تتنزل عليهم الملائكة بالأمن". ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٤/ ٢٨٤).

٣ قال ابن العربي: يقول ابن العربي: "قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: يَعْنِي عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَنَا أَقُولُ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَآكَدُ الْأَيَّامِ يَوْمَ الْمَوْتِ، وَحِينَ الْقَبْرِ، وَيَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ". ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٨٤).

فالظاهر أن الملائكة تتنزل عليهم كلما دعت الحال إلى النُزُول عند الموت وعند الخوف وعند المعارك، وفي كل حال تقتضي أن تتنزل الملائكة عليهم؛ لأن الله أطلق"[1].

- هل تأمل القارئ يومًا، **لماذا قدّمت بشارة عدم الخوف على بشارة عدم الحزن؟**

تحدث عن هذا الرازي بكلام نفيس، فقال:" واعلم أن الغاية القصوى في رعاية المصالح دفع المضار وجلب المنافع، ومعلوم أن دفع المضرة أولى بالرعاية من جلب المصلحة، والمضرة ... وإذا ثبت هذا فالمضار التي يتوقع حصولها في المستقبل أولى بالدفع من المضار الماضية"[2].

تخيل لو كنت على سفر وطائرتك على وشك الإقلاع، وأنت في طريقك ذاهب هل تخاف من إقلاعها؟ أم حزين لفوات سفرة فاتتك في الماضي؟

أكيد أن دفع خوف المستقبل هنا أولى من دفع الحزن على ما مضى، إذ القريب هو المستقبل، والبعيد هو الماضي، وكلما مضى الوقت زيد في الماضي بعدًا.

فلذلك تتنزل الملائكة مبشرة لأهل الإيمان أولًا بعدم الخوف في المستقبل من حلول مكروه في الآخرة، ثم عدم الحزن على فوات محبوب لهم في الدنيا.

- **ما الفرق بين الخوف والحزن؟**

الخوف عبارة عن تألم القلب بسبب توقع حصول مضرة في المستقبل، والغم والحزن عبارة عن تألم القلب بسبب قوة نفع كان موجودا في الماضي، وإذا كان كذلك فدفع الخوف أولى من دفع الحزن الحاصل بسبب الغم[3].

---

[1] تفسير العثيمين: فصلت (ص:١٦٧).
[2] مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٥٦٠).
[3] ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٥٦٠).

لذلك كانت أولى البشـارات التي تبشـرها الملائكة لأهل الإيمان: بأنه لا خوف عليكم بسـبب ما تسـتقبلونه من أحوال القيامة، ولا حزن عليكم بسـبب ما فاتكم من أحوال الدنيا.

وبعد التبشـير بزوال هذه المتاعب كلها، يبشـر أهل الإيمان والطاعة بحصـول المنافع، فتقول لهم الملائكة:"**وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون**".

بشـارات تلو بشـارات، أيظن المؤمن بربه المسـتقيم على أمره هلاكًا في قبره أو عند موته؟

كلا والله، إن أقل ما يمكن وصـف هذا الشـعور، هو الطمأنينة، الأمان، الراحة التي تجعل القلب ساكن الصدر.

- **المبحث الثاني: دراسة تحليلية سورة فصلت (٣١- ٣٢)**

قال تعالى: " نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ"[فصلت:٣١- ٣٢].

- المطلب الأول: ماذا تقول الملائكة عند تبشير أهل الإيمان والاستقامة؟

تقول: نحن أولياؤكم الذين كنا نتولاكم في الدنيا، لأن الملائكة تتولى المؤمنين في الدنيا وتحبهم لما ترى من أعمالهم المرفوعة إلى السـماء، "**وفي الآخرة**" لا تفارقهم حتى يدخلوا الجنة.

وفي تعريفهم بأنفسـهم للمؤمنين تأنيسـاً لهم، فإن العلم بأن المتلقِّيَ صـاحب قديم يزيد نفس القادم انشراحاً وأنساً ويزيل عنه دهشة القدوم، ووحشة الاغتراب، أي نحن الذين كنا في صحبتكم في الدنيا.

إذ كانت الملائكة في الدنيا تكتب حسـناتهم وتشـهد لهم عند الله سـبحانه، ففي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ،

وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ، فَيَقُولُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ"[١].

هؤلاء هم الملائكة الذي يبشرون بشارة المحب لأحبابهم الذين كانوا حفظة عليهم في الدنيا.

- ماذا أعد الله سبحانه لأهل الإيمان والاستقامة من النعيم؟

قال تعالى: " **وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ** " أي: يقال لهم ولكم في الجنة ما تشتهي أنفسكم، وما تطلبه من أنواع اللذات والمشتهيات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

- **المطلب الثاني: كيف نال أهل الإيمان والاستقامة دخول الجنة؟**

قال تعالى: " نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ"

النزل: رزق النزيل وهو الضيف[٢].

هذا الفضل والنعيم الذي أعده الله لعباده، والرزق الذي أعده لضيوفه، إنما هو فضل منه سبحانه، الذي لولا رحمته لما دخل أحد الجنة.

جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال:" لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ. قالوا: ولا أنْتَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: لا، ولا أنا، إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بفَضْلٍ ورَحْمَةٍ ..."[٣].

فالتوفيق للعمل وقبوله، والهداية إلى الصراط المستقيم، إنما هو برحمةِ اللهِ وفَضْلِه.

لذا تجد خاتمة الآية جاء باسمين عظيمين (غفور رحيم) وفيه إشارة إلى أنهم برحمة الله سبحانه دخلوا جنته، وبمغفرته لذنوبهم وتجاوزه عن سيئاتهم وما تابوا منه أدخلهم جنته.

---

[١] متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه (٩/ ١٢٦) رقم: (٧٤٩٢) من حديث أبي هريرة ، كتاب: التوحيد، باب: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ)، وأخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٤٣٩) برقم:(٦٣٢) كتاب: مواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما.

[٢] الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٩٩).

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المريض، باب تمني المريض الموت (٧/ ١٢١): برقم: (٥٦٧٣)

نسأل الله سبحانه من فضله العظيم.

هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، بعد أن وفقني الله سبحانه لإتمام هذا البحث، سائلة المولى سبحانه السداد والقبول، أذكر بأهم النتائج:

أولًا: إن هذه البشارة العظيمة التي اختص الله سبحانه بها أهل الإيمان لا ينالها كل أحد، وإنما ينالها من جمع الله له بين اليقين به سبحانه والاستقامة على طاعته.

ثانيًا: الخوف من المستقبل والحزن على ما فات من أكثر المتاعب في الدنيا، وببشارة الملائكة بنفي كل منهما، توجب في قلب العبد طمأنينة وسكينة، فيسعى لأن يكون من أصحابها.

ثالثًا: إن سبب دخول الجنة والتنعم فيها: فضل من الله تبارك وتعالى، والأعمال الصالحة ما هي إلا أسبابًا موجبة لرحمة الله سبحانه، التي وفق العبد لها وقبلها منه سبحانه وجازاهم عليها، فعلى العبد العمل بالأسباب التي توصل إلى رحمة الله سبحانه.

التوصيات:

١. أوصي بإقامة دورات وبرامج فعّالة في ذكر الهدايات القرآنية المستنبطة من آيات الكتاب العظيم.

٢. أوصي الدعاة والمصلحين بتفسير آيات القرآن وربطها بالواقع المعاصر.

٣. أوصي طلاب العلم الشرعي بدراسة الآيات تفسيرًا تحليليًا والوقوف على دلالاتها البلاغية العظيمة التي تزيد العبد يقينا لهذا الإعجاز العظيم.

هذا والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع والمصادر:

- القرآن الكريم
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطَّبرِي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
- تفسير القرآن الكريم «سورة فصلت»، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧ هـ.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس
- سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠.
- أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، علَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الطبعة الثالثة، عدد الأجزاء: ٢

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه
- الجامع الكبير – سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، أبو عيسى، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.